حان وقت الوسطية المستنيرة

الرئيس برويز مشرف
رئيس جمهورية باكستان

- نشرت في جريدة الأهرام - بتاريخ الأربعاء 2 يوليو 2004 السنة 127 العدد 42912.

** إن العالم يمر منذ فجر التسعينيات بمرحلة من الاضطراب والعنف دون أية إشارة إلى اللين. إن معاناة الكثيرين, وخاصة أشقائي في الايمان المتطرفين والارهابيين - المسلمين ـ على أيدي القوات العسكرية, , قد أوحي الي بأن أشارك في إيجاد بعض النظام في هذا العالم الفوضوي. إن هذه النزعة هي التي قادتني الي تأييد وتقديم استراتيجية الوسطية المستنيرة.

إن العالم قد أصبح مكاناً خطراً للعيش فيه. فالقوى المدمرة من المتفجرات البلاستيكية, مع التكنولوجيا العالية المتقدمة, ووسائل التحكم عن بعد, ويزيد على ذلك تكاثر قاذفات القنابل الانتحارية, كل ذلك يشكل تركيبةً مميتةً ومهلكة تتعدى أية مقاومةٍ فعالة. والواقع الأليم أن كلاً من مرتكبي هذه الجريمة وأيضا معظم المتضررين والمعانين منها, كلاهما من المسلمين. كل هذا قد جعل غير المسلمين, رغم أنه غير صحيح، يؤمنون بأن الاسلام دين التشدد والقتال والارهاب. نحن يمكن أن نعترض بشدة على هذه المسميات ولكن الواقع أن هذه المناظرات لن تنجح في التغلب على هذه المعركة الهائلة ضد القوى المعادية لنا. ولمضاعفة اللامبالاة لدينا أكثر مما هي عليه, فنحن غالباً الأفقر ، الأقل تعليما، الأضعف قوة ، والأقل اتحادا في العالم.

أن الحقيقة الصارخة التي تواجه أي شخص لديه عاطفة تجاه هذا الميراث المشترك للانسانية ـ عالمنا - الأرض الأم ـ هي أنه ما هي الشرعية التي نريد تركها للبشرية؟ على الوجه الآخر, إن التحدي الذي يواجه المسلمين هو أن

نخرج من هذه الحفرة التي وجدنا أنفسنا فيها, من خلال الجهود والنشاطات الفردية الجادة والارتقاء الاجتماعي ـ الاقتصادي الجماعي. ويجب التحرك الفوري لفعل شيء لايقاف هذه المذبحة في العالم, وعلى المسلمين أن يصدوا هذا الانزلاق للأسفل, هذا اذا كنا نريد أن نحمي أنفسنا من أن نكون على الهامش.

أن فكرتي عن حل هذه العقدة هي استراتيجية الوسطية المستنيرة, والتي اعتقد أنها نجاح للكل, للمسلمين ولغير المسلمين, فهذه استراتيجية ذات شقين. شق يخص مسلمي العالم بأن يقوموا بالنأي عن القتال والتطرف, وأن يتبعوا طريق الارتقاء الاجتماعي ـ الاقتصادي والشق الآخر يخص الغرب، خصوصاً الولايات المتحدة ، وهو الاتجاه الموطد للعزم إلى حل كل النزاعات السياسية بالعدل, وأيضا المساعدة في الارتقاء الاجتماعي ـ الاقتصادي للعالم الاسلامي المجرد من ذلك.

وأود أن اشرح منطق استراتيجية الوسطية المستنيرة وايضا التوسع أكثر في شرح المنهج الذي يجب على العالم الاسلامي إتباعه للقيام بالشق الخاص بهم من الاستراتيجية, أولا نحن في حاجة أن نفهم أن السبب الأساسي للتطرف والقتال يكمن في عدم العدالة السياسية, في الرفض وفي الحرمان. فالظلم السياسي لأمة أو لشعب حينما يجتمع مع الفقر الشديد والجهل, يؤدي إلي التركيبة المتفجرة التي تؤدي إلى الشعور الحاد بالحرمان واليأس والضعف. إن شعباً يعاني كل هذه المجموعة من العلل المميتة هو بمثابة الغذاء السهل المتاح لانتشار القتال ولارتكاب أفعال

التطرف والارهاب. وسوف أكون غير متقن, اذ في غمار دفاعي عن أشقائي في الايمان. لم اقتف أثر نشأة تسمية المسلمين بالمتطرفين والارهابيين. فقبل قيام الحركة المضادة للسوفيات, بدأت حرب الأفغان, وكان النزاع الفلسطيني وحده هو سبب قلق واهتمام العالم الاسلامي, والذي أدي إلي الاتحاد العام للمسلمين أجمع لمساندة القضية الفلسطينية ضد إسرائيل, إن حرب الأفغان في الثمانينيات والذي ساندها ويسر لها الغرب كحرب مفتوحة ضد الاتحاد السوفيتي, قد شهدت بدء ونمو القتال الاسلامي الموجه, فالاسلام كدينٍ قد استخدم لتجهيز الحشود كمساندة إسلامية على مستوي العالم. وبالتالي كانت النتيجة ما حدث من بشاعة وتطهير عرقي ضد المسلمين في البوسنة, وقيام الشيشان, والصراع حول تحرير إقليم كشمير, وايضا الانتفاضة الفلسطينية القوية, كل ذلك قد تفجر في التسعينيات بعد انقسام وتفكك السوفيت. والذي جعل الأمور تسوء, أن القتال الذي تفجر في أفغانستان والذي كان في حاجة إلى وقفة بعد انتهاء الحرب الباردة, قد أتيحت له الفرصة كي يلتهب طوال حقبة التسعينيات, هذا الجرح المتقيح لأفغانستان مع وجود مجاهدين من جميع أطراف العالم الاسلامي خلال نفس الفترة التي حدثت بها ثورات في أمم إسلامية أخرى قد تحول إلي اتجاهاتٍ متعددةٍ للبحث عن مناطق نزاعٍ جديدةٍ حيث يعاني المسلمون.

وقد شهد ذلك ميلاد القاعدة. كل ذلك يحدث والانتفاضة الفلسطينية مازالت تجمع القوى وتوحد المسلمين الغاضبين من جميع أنحاء الأرض, ثم حدثت القنبلة المروعة في

الحادي عشر من سبتمبر, وما تلاه من ردّ فعلٍ غاضبٍ للولايات المتحدة ضد حركتي طالبان والقاعدة في أفغانستان, فإن كل ردود الأفعال للولايات المتحدة المترتبة على ذلك, والتي تشمل رد الفعل الداخلي ضد المسلمين والموقف تجاه فلسطين وعملية العراق أدى إلى الاستقطاب الكلي للحشود المسلمة ضد الولايات المتحدة. وسبب ضرورة استرجاع كل ذلك هو إثبات أنه ليس الاسلام كدين هو الذي يدعو أو يحث على القتال والتطرف, ولكن النزاعات السياسية هي التي أدت إلى الخصومة والعداء بين الحشود الاسلامية.

كل ذلك هو الآن مجرد تاريخ. ما حدث لا يمكن أن يمحى. ولكن هذا الوضع لايمكن أن يسمح له بأن يلتهب أو يسوء أكثر من ذلك. فلأجل الوئام العالمي يجب أن يوجد علاج. فصرخة اليوم هي للغرب لحل هذه النزاعات السياسية بعدالةٍ كجزءٍ مما يخصهم من الالتزام تجاه تحقيق استراتيجية الوسطية المستنيرة. والآن أود أن أتوجه إلي العالم الاسلامي, والذي يدمي له قلبي. ما نحتاجه اليوم هو وقفة مع الذات. من نحن وماذا نفعل كمسلمين بحق الكلمة وأين نحن ذاهبون والي أين يجب أن نتوجه وكيف يمكن الوصول إلي ذلك؟ إن الاجابة لكل هذه التساؤلات أراها بمثابة الشق الخاص بالمسلمين للقيام به تجاه تحقيق استراتيجية الوسطية المستنيرة. لقد كان لنا تاريخ مجيد. فقد امتد الإسلام على خريطة العالم كحامل للواء المجتمع الذي تسود فيه روح العدالة والشرعية والتسامح. لقد كان لنا ايمان بأن قوة الإنسان تكون عن طريق المعرفة

والاستنارة. وقد كنا مضرب الأمثال في التسامح مع أنفسنا ومع الشعوب ذات الأديان الأخرى. ولم تكن أبدا جيوش الإسلام تسير قدما لجعل الناس يغيّرون دينهم بقوة السيف, بغضّ النظر عما قد يدرك, ولكن لكي تحررهم من الظلام الذي كانوا فيه, من خلال ضرب الأمثلة الواضحة الجلية مما يتحلون به من فضائل. وكيف يمكن أن يكون هناك إبراز لمثل هذه الفضائل والقيم العميقة للدين الاسلامي أفضل من المثل الذي ضربه شخصيا نبينا الكريم(عليه الصلاة والسلام) والذي كان يتحلي بالعدالة والتعاطف والرحمة والتسامح مع الآخرين, كما كان يتحلي بالكرم وبالتواضع والبساطة مع روح التضحية والرغبة الملحة للارتقاء بالإنسانية إلى عالم أفضل.

أن العالم الاسلامي اليوم بعيد عن كل هذه القيم. لقد أصبحنا في موقف متأخر جدا من النمو الاجتماعي, الأخلاقي والاقتصادي. وللأسف, فإنه خلال فترة تدهورنا, بقينا في قوقعتنا ورفضنا أن نتعلم أو نكتسب الخبرة من الآخرين. ولذا فقد وصلنا إلى ما آل إليه الحال من اليأس والكآبة. يجب أن نواجه الحقائق الأليمة. هل الطريق أمامنا طريق المواجهة والقتال؟ هل هذا الطريق سوف يقودنا إلي أمجادنا السابقة وأيضا يظهر نور التقدم والتنمية للعالم؟.

أشقائي المسلمين إن زمن النهضة قد حان. إن الطريق للتقدم للأمام هو التوجه إلي الاستنارة والتركيز على تنمية المصادر البشرية من خلال القضاء على الفقر, ومن خلال التعليم, الصحة والعدالة الاجتماعية. إذا كانت تلك وجهتنا, فلا يمكن الوصول إليها عن طريق التحدي والمواجهة. اذ

يجب علينا أن نسلك طريق الوسطية, كي نمحو الاعتقاد العام أن الإسلام هو دين القتال وأنه ضد التجديد والديموقراطية الدنيوية. كل ذلك يجب أن يحدث مع إدراكنا أنه في هذا العالم الذي نعيش فيه, فان مبدأ العدالة والإنصاف ليس دائما في متناول أيدينا. هذا هو الشق الخاص بنا كجهة استراتيجية الوسطية المستنيرة والذي يجب علينا القيام به. وإذا كان هذا هو المنهج الذي يجب أن يتبعه العالم الاسلامي, فما هي المعايير الجاهزة الواجب القيام بتنفيذها؟.

إن منظمة المؤتمر الإسلامي هي كياننا التجمعي. نحن بحاجة إلي بث الحياة في هذا الكيان الذي هو الآن في حالة تقرب من العجز. يجب إعادة تشكيله لمواجهة تحديات القرن الـ21, ولتحقيق آمال العالم الاسلامي ولأخذنا تجاه تحقيق عتقنا وحريتنا. إن اللجنة المكونة من أشخاص بارزين والتي شكلت لتقديم التزكيات والتوصيات الخاصة بإعادة تشكيل منظمةالمؤتمر الاسلامي , هي بلا شك خطوة مهمة وكبيرة نحو الاتجاه الصحيح. يجب علينا أن نظهر العزيمة وأن نرتقي بأنفسنا عن المصالح الشخصية إلي المنفعة المشتركة والخير المشترك بنفس الروح والقيم التي علمنا الإسلام أن نكون عليها. إن العالم أجمع وجميع القوى فيه يجب أن يدركوا أن المواجهة واستعمال القوة لم تعد الخيار المتاح لتحقيق السلام التام. يجب أن تتحقق العدالة ويجب العمل على التأكد من تحقيقها. فيجب ألا تقول الأجيال القادمة إننا, قادة وزعماء اليوم, قد أخذنا بالإنسانية نحو الانهيار.